6. الوضعية والوضعية المنطقية

1.6. الوضعية

الوضعية من وضع ، وتعني العودة الى الأحادية، ورفض النزعة الثنيوية التي تقول بوجود عالم مادي وعالم مفارق، فالوضعية ترفض الميتافيزيقيا، وترى أن المعرفة الممكنة محصورة في عالم الطبيعة والواقع. وتمثل الوضعية منعطفا حاسما في تاريخ ظهور العلوم الانسانية بعامة، فمع الوضعية كان أولى محاولات تطبيق المنهج العلمي على الظواهر الانسانية والاجتماعية، وبالتالي ميلاد العلوم الانسانية والاجتماعية.

الوضعية، التي أسسها أوغست كونت في القرن التاسع عشر، هي تيار فكري يرى أن المعرفة لا يمكن أن تستند إلا إلى حقائق قابلة للملاحظة والتجربة والتحقق، مستبعدةً أي ميتافيزيقا أو تخمين. وهي تدعو إلى دراسة «الكيفية» (القوانين العلمية) بدلاً من «السبب» (الأسباب الأولية) من أجل تحقيق فائدة اجتماعية

اعتقد كونت، في أعقاب تقدم عصر التنوير، أن البشرية قد انتقلت من المرحلة اللاهوتية إلى المرحلة الميتافيزيقية، ودخلت مرحلة ثالثة هي المرحلة "الوضعية" (أي "العلوم الوضعية" كالرياضيات والفيزياء). وجادل كونت بشكل منهجي بأن الحقائق التي تثبتها الأدلة العلمية فقط هي المقبولة من الآن فصاعدًا. وقد قاده تصنيفه للعلوم وفقًا لدرجة تعقيدها إلى تأسيس "الفيزياء الاجتماعية" (أو علم الاجتماع)، الذي بُنيت عليه الأخلاق والسياسة. وقد احتفظت الوضعية، وهي تيار فكري رئيسي في فرنسا في القرن التاسع عشر، من مذهب كونت بفكرة أن المعرفة لم تعد قائمة على التأملات الميتافيزيقية، وأن الحقائق التجريبية وعلاقاتها هي وحدها التي يمكن أن تكون موضوعًا للمعرفة اليقينية. مع ظهور العلوم الإنسانية وتجاوزها حدود فرنسا، دافع عن المذهب الوضعي كلٌ من سبنسر ودوركهايم في علم الاجتماع، وماخ وميل في علم النفس، وتين ورينان في

التاريخ، وليتري في اللغويات، وغيرهم. ورغم الانتقادات التي وُجهت إليه من جانبين: كونه نمط تفكير باردًا ومجردًا من الإنسانية من جهة، وشكلًا من أشكال تقديس العلم من جهة أخرى، إلا أن الوضعية ساهمت في تقدم المعرفة، لا سيما في أواخر القرن التاسع عشر، من خلال تركيزها على تفسير "كيف" الأشياء بدلًا من "لماذا". وقد تبناها وطورها علماء المنطق وعلماء المعرفة في مطلع القرن العشرين، ويُنظر إلى الوضعية اليوم على أنها مذهب عفا عليه الزمن، لكنها لا تزال نابضة بالحياة، وذات صلة بواقع من يؤمنون بها[1].

تتأسس الوضعية على فلسفة تاريخ تقدمية، بحيث يتطور التفكير البشري وفق مسار ثلاثة مراحل كبرى. وهو ما يسمى ب"قانون الحالات الثلاث" ، الذي يهدف كونت من خلاله إلى تأسيس الفيزياء الاجتماعية (علم الاجتماع) كعلم وضعي يدرس المجتمع، مما يساهم في تحقيق النظام والتقدم الاجتماعي :

- **المرحلة اللاهوتية (مرحلة الطفولة):** يفسر العقل البشري الظواهر الطبيعية من خلال أفعال الكائنات الخارقة (الآلهة، الأرواح، الوثنية). هذا تفسير قائم على "لماذا". وفي هذه المرحلة مايزال الفكر البشري مرتبطا بالطبيعة لكن من خلال تقديسها وعبادتها.
- **المرحلة الميتافيزيقية أو المجردة (مرحلة المراهقة):** تُستبدل الكائنات الخارقة الطبيعية بقوى أو كيانات أو مفاهيم مجردة. وهنا تولد العوالم المفارقة للعالم الطبيعية والمادي، وتتميز هده المرحلة بميلاد الأديان التوحيدية الكبرى، والفلسفة العقلانية والميتافيزيقية.
- **المرحلة الوضعية أو العلمية (مرحلة النضج):** يتخلى العقل عن البحث عن الأسباب الأولى (لماذا) ويقتصر على الملاحظة والاستدلال لاكتشاف القوانين الفعالة، (كيف) للظواهر. يعود التفكير للطبيعة، لكن من خلال البحث عن الأسباب وليس من خلال التقديس. هذه هي مرحلة العلم والوضعية. ومن المفروض ان تتجاوز ما يسبقها.

[1] https://www.philomag.com/lexique/positivisme

1.6. الوضعية المنطقية

تسمى أيضا بالوضعية الجديدة، أو الوضعية الامبيريقية، او التجريبية المنطقية حيث تعد ، امتدادا وتطورا للنظرية الوضعية. فالوضعية ظهرت في القرن التاسع عشر، بينما الوضعية المنطقية ازدهرت في بدايات القرن العشرين حتى منتصفه. معلنة رفضها القاطع لدراسة الميتافيزيقا، معتبرة قضايا فارغة من المعنى والجودى العلمية. فهي وضعية؛ لأنهم المنتمين لها يقصرون جهودهم على ما هو موضوع في الواقع الحسي الخارجي، وهم مناطقة؛ لأنهم ينظرون إلى هذا الموضوع في الواقع الحسي من خلال منظور المنطق؛ إذ يصوبونه على العبارات التي يضعها العلماء في وصف هذا الواقع وشرحه، فيقومون بتحليلها تحليلًا منطقيًّا، يجعلها أكثر دقة وأقل غموضًا وأبعد عن الالتباس[2].

هو تيار فلسفي ظهر في أوائل القرن العشرين، وقد طوره بشكل أساسي «دائرة فيينا». ويدعو هذا التيار إلى أن المعرفة المستمدة من التجربة العلمية (التجريبية) والمنطق/الرياضيات (المنطقية) هي وحدها ذات مغزى. كما يرفض الميتافيزيقا باعتبارها عديمة المعنى، مستنداً إلى مبدأ القابلية للتحقق.

يحصر تيار الميتافيزيقا القضايا الفلسفة في دراسة قضايا اللغة، ويرفض مختلف حمولاتها الميتافيزيقية، معتبرا إياها قضايا فارغة من المعنى.

[2] https://www.hindawi.org/books/48649370/2.1/

نشأ هذا التيار الفكري مع مفكري حلقة فيينا، وأقطاب هذا التيار ذوي ثقافة علمية عميقة وأصيلة، التفوا حول زميلهم موريتس شليك في ما يسمى بحلقة فيينا منذ عام 1922م، قد كانت فلسفة فتجنشتين، وبالتحديد الرسالة المنطقية الفلسفية، هي السبب المباشر في نشأة الحلقة،ومعظم المنتمين لها علماء أصلًا، وهذه الخلفية العلمية المتينة خلقت فيهم اتجاهًا أمتن نحو العلمية حتى أرادوا أن يكون العلم وتحليلاته المنطقية، هو فقط النشاط العقلي الوحيد، الذي لا نشاط سواه[3].

تستند الوضعية المنطقية الى مبدأ القابلية للتحقق كمبدأ للتحقق من القضايا العلمية القابلة للتحقق. والقصد به أنه لا يكون للفرضية معنى إلا إذا كانت قابلة للتحقق تجريبياً أو إذا كانت عبارة عن بديهية منطقية. وفي هذا سيقوم كارل بوبر في مجمل نقده للوضعية المنطقية بنقد مبدأ القابلية للتحقق والدعوى لمبدأ القابلية للتكذيب ، الذي يمثل معيارا معرفيا ينص على أن النظرية لا تكون علمية إلا إذا كان من الممكن دحضها بالتجربة أو الملاحظة.

بالمجمل فقد حاولت الوضعية المنطقية تطبيق النزعة العلموية الوضعية بجذرية رافضة دراسة أيضا قضايا غير علمية، حتى أنها افرغت الفلسفة من محتويات مباحثها التقليدية حاصرة مهامها في تحليل قضايا اللغة. ورافضة بشكل قاطع الخوض في المسائل الميتافيزقية التي اعتبرتها بصريح العبارة قضايا فارغة من المعنى.

[3] https://www.hindawi.org/books/48649370/2.1/